بريطانيا التي ولدوا هم وأجدادهم فيها ايضا، طوال أجيال عديدة، والذين يحبون قضاء بقية حياتهم في العمل من أجلها، والذين تتركز أعظم آمالهم في الاستمرار في خدمتها.

رفع مونتاغو مذكرة الى الحكومة البريطانية تحت عنوان: «معاداة الحكومة الانكليزية الحاضرة للسامية». وهو يوضح فيها سبب اختياره لهذا العنوان بقوله: «أود ان اسجل ما اعتقد من ان السياسة التي تتبعها حكومة صاحب الجلالة هي سياسة عداء للسامية من ناحية النتيجة مما قد يجعلهما نقطة تجمع للمعادين للسامية في دول العالم كافة». وفي ختام مذكرته يخلص الى استنتاج اربعة مبادىء:

١ – لا توجد امة يهودية؛ فلا يصح القول بان اليهودي الانكليزي واليهودي المغربي ينتميان الى امة واحدة. وكذلك لا يصح القول بان المسيحي الانكليزي والمسيحي الفرنسي ينتميان الى امة واحدة او ربما لجنس واحد.

٢ – اذا قيل لليهود ان فلسطين هي وطنهم القومي فان كل دولة سوف تتجه فورا الى التخلص من مواطنيها اليهود، وعندئذ سوف نجد في فلسطين عددا ضخما من السكان يقومون بطرد أهلها الحاليين ويأخذون أحسن ما في البلد.

٣ – انني لا اعترف بان فلسطين اليوم مرتبطة باليهود او انها مكان ملائم كي يعيشوا فيه.

٤ – ان جميع اليهود في شتى أنحاء العالم سيصبحون عند اقامة الوطني القومي في فلسطين يهودا أجانب في أوطانهم. وعندئذ فانه يصبح لزاما عليهم الاختيار بين الذهاب الى فلسطين والعيش مع يهود آخرين غرباء او ان يبقوا كضيوف غير مرغوب فيهم في البلاد التي يعتقدون انهم ينتمون اليها.

ويختتم مونتاغو مذكرته بقوله: «انني على استعداد لحرمان كل صهيوني من الحقوق المدنية، بل انني اجد دافعا قويا لتجريم المنظمة الصهيونية باعتبارها غير قانونية وضارة بالمصالح الانكليزية»[١].

لقد عبر مونتاغو في ذلك الوقت عن احاسيس ورغبات السواد الاعظم من يهود العالم، ولم يكن مغاليا عندما وصم الحكومة البريطانية «باللاسامية» لانها تبحث لليهود عن وطن وتجعل منهم امة لها صفات ومواصفات الامة. ولكن الحكومة البريطانية لم تكن معنية بما يصيب اليهود مستقبلا بقدر ما كانت معنية باقامة حاجز يفصل آسيا العربية عن افريقيا العربية، حاجز يحمي حضارة الغرب من همجية الشرق، حاجز بشري معاد لاهل المنطقة، صديق لبريطانيا، او مرتبط بها[٢]. وهذا ما اكده ونستون تشرشل في مذكراته عندما قال: «إذا اتيح لنا في حياتنا – وهو ما سيقع حتما – ان نشهد مولد دولة يهودية لا في فلسطين وحدها، بل على ضفتي نهر الاردن معا، تقوم تحت حماية التاج البريطاني وتضم نحوا من ثلاثة او اربعة ملايين يهودي فاننا سنشهد وقوع حادث يتفق تمام الاتفاق مع المصالح الحيوية للامبراطورية البريطانية»[٣].